

روعت الأمة بنيا تعطيل جريدة << المسنة >> بقرار من وزارة الداخلية و تقاطرت على الإدارة رسائل الاستياء و المتعجب و لم يكن تعجب الناس من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة دون استياءهم من عرقلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن عملها الديني التهذيبي الذي ذقت الأمة حلاوته و شاهدت جميل أثره .

أمّا نحن فقد شاركنا الأمة في الاستياء و لم نشاركها في المتعجب فقد كنا نودع دنا بأشياء , هذا التعطيل أحدها , فجاء و نحن له متوقعون . غير أن الذي نعجب منه نحن المباشرين لتسيير الجمعية هو التبدل العظيم و الانقلاب السريع الذي شاهدناه من بعض الإدارات نحو الجمعية .

لقد تجوّلت و فود الجمعية السنة الماضية في جميع جهات الوطن و ألقى و عأظها خطبهم و دروسهم في المحافل العامة و كثيرا ما كان يحضرها رجال من الحكام و كانوا يلقون من شيوخ البلدان الأُمّيار و حكام الدوائر كل تعضيد و تقدير و قابلنا بعد تمام الرحل إدارة الشؤون الوطنية بالعاصمة فلم نسمع على خطتنا أدنى إنكار و لم نتلمح أقل إشارة إلى ارتياب في الجمعية أو استئقال لأعمالها فما الذي بدل العقول و حول النيات ، و حمل بريفي العاصمة على ابتداء منازل الجمعية بقراره المشهور و حمل تلك الإدارات على مناوأة الجمعية و مضايقة رجالها و عرقلة أعمالها حتى عطلوا جريدة المسنة لغير ما سبب إلّا أن ها جريدة الجمعية و لسان حالها ؟ !. هذا محل سؤالنا و مناط تعجبنا .

و بعد فما ينقم علينا الناقدون ؟ أينقومون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب و ترقيته و رفع مستواه إلى الدرجة الملائقة بسمعة فرنسا و مدنيّتها و تربيّتها للشعوب و تثقيفها فإذا كان هذا ما ينقومون علينا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا ، و قد دلّوا على رجعية فيهم و جمود لا يتناسبان مع المبادئ الجمهورية و لا مع حالة هذا العصر . أفستكون في المهند جمعيات للعلماء تقوم بأعمالها بغاية الحرية و الهناء عشرات من المسنين تحت السلطة الإنجليزية الغاشمة القاسية و تضيق صدوركم أنتم عن تكون جمعية واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر تحت المبادئ الجمهورية العادلة المشعة بعلمها على الأُمم فتناهضوها و هي ما تزال في المهد ، أفظننتم أن الأُمّة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضي قرنا كاملا في حجر فرنسا المتمدنة ثم لا تنهض بجنب فرنسا تحت كنفها يدها في يدها فتاة لها من الجمال و الحيوية ما لكل فتاة أنجبته أو ربّتها مثل تلك الأُمم أخطأتم يا هؤلاء التقدير و أسأتم الظن بالمربي و المربي و بعدم عن العلم بسنن الكون في نهضات الأُمم بعضها ببعض عند الاختلاط أو التجاور أو الترابط بشيء من روابط الاجتماع .

انظروا شيئا إلى ما حوالمكم من الأُمم و تأملوا فيما تنادي به الشعوب و ما تعلنه من مطالب فإنكم إذا نظرتهم و تأملتكم حمدتم لهذه الجزائر الفتية نهضتها الهادئة و تمسكها المتين بفرانسا و ارتباطها القوي بمبادئها و عدها نفسها جزءا منها و قصرها لطلبها منها على أن تعطى جميع حقوقها كما قامت بجميع واجباتها و أن لا يتقدمها في أيام السلم من قد لا يساويها في أيام الحرب .

نا ، لا أخالكم تنظرون و لا تتأملون فإن الأثره المستولية على النفوس حجاب كثيف يحول دون رؤية الحقائق كما هي و يحول حتى دون رؤية مصلحة فرنسا الحقيقية نفسها . و إنّي لأفهم من مناهضتكم العجيبة للجمعية هي جمعية دينية تهذيبية بعيدة عن كل سياسة - أنكم لا تريدون من الجزائر إلّا أن تبقى جامدة و أن لا تتمتع بشيء من الحق إلّا ما لا غناء فيه و لا بقي معه - و لعمر الحق أن من يريد هذا بالجزائر اليوم لمخالف للشريعة و الطبيعة إذ من الطبيعي أن تتحرك الجزائر ضمن الجمهورية الفرنسية في زمان تحرك ما فيه حتى الحجر . و من الشرعي أن تنال منها الحقوق كفاء ما قامت به من الواجبات .

آستكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية لها منزلتها العظيمة في قلبها و جريدة لها قيمتها الكبيرة في نظرها؟ فنبشركم أنه سيكون للجزائر الفرنسية جمعيات و صحف و سيكون لها وسيكون... حتى يقف المسلم الجزائري مع أخيه من بنية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحقبة التي يكون من أول ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع .

أم هالمكم أن يكون في أبناء الجزائر الفرنسية من لا يزحزحه عن ميده و وعد و لا وعيد و لا يستهويه رنين و لا زخرفة؟ فنبشركم بأن الجزائر المفطورة على مبادئ الإسلام و المتغذية بمبادئ فرنسا أنجبت و تنجب رجالا كما رأيتهم و فوق ما تظنون رجالا تفتخر بهم فرنسا كما تفتخر بسائر أبنائها الأحرار .

كونوا كما تشاءون أيها السادة فلکم – و أنتم تمثلون ما تمثلون – كل احترامنا , و ظنوا بنا ما تشاءون فإننا على بصيرة من أمرنا و يقين من استقامة خطتنا و نبل غايتنا . و مهما تبدلت اعتقاداتنا في أناس بتبدل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثققتنا بفرنسا و قانونها .

و على خطتنا المستقيمة و هي نشر العلم و الفضيلة و مقاومة الجهل و الرذيلة .

و على غايتنا النبيلة و هي تثقيف الشعب الجزائري المرتبط بفرنسا و رفع مستواه العقلي و الخلقي و العملي إلى ما يليق بسمعة فرنسا .

و على ثققتنا بعدالة فرنسا و حرية الأمة الفرنسية و ديموقراطيتها .

أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و أسست جريدة «السنة» المعطلة ، و أسسنا اليوم بدلها جريدة >> يعة المطهرة >> و ستقوم – إن شاء الله – مقامها و تحل من القلوب محلها و الله المستعان و هو حسبنا و نعم الوكيل .

عبد الحميد بن باديس ( الشريعة النبوية العدد الأول ).